وألا يمنع أحد زيارة قبر الحسين رضي اللّه عنه ولا قبر غيره من آل أبي طالب وأطلق أوقاف الطالبين وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم ومما يؤثر من قوله (إن لذة العفو أعذب من لذة التشفي وأقبح أفعال المقتدر الانتقام) وقد أظهر الانصاف في الرعية فمالت إليه قلوب الخاصة والعامة مع شدة هيبتها له.

وفاة المنتصر:

قال الطبري: لم أزل أسمع الناس حين أفضت إليه الخلافة من لدن ولي إلى أن مات يقولون إنما مدة حياته ستة أشهر «مدة شيرويه بن كسرى» قاتل أبيه مستفيضاً ذلك على ألسن العامة والخاصة وكذلك كان فقد أصابته العلة التي قضت عليه يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول (سنة ٢٤٨) ومات مع العصر من يوم الأحد لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر ويقال إن تلك العلة كانت الذبحة في حلقه وبعضهم يقول كانت ورماً خبيثاً في معدته ويقال إنه سم سمه الطبيب في مبضع واللّه أعلم أي ذلك كان.

١٢ ـ المستعين

هو أحمد بن محمد بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد صقلية اسمها مخارق ولد (سنة ٢٢٠) وبويع بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو خامس ربيع الآخر (سنة ٢٤٨) (٧ يونيه سنة ٨٦٢) ولم يزل خليفة إلى أن خلع يوم الجمعة (٤ محرم سنة ٢٥٢) (١٥ يناير سنة ٨٦٦) فكانت مدته ثلاث سنوات وثمانية أشهر و(٢٨ يوماً).

كيف انتخب:

اجتمع الموالي وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير وأتامش ومن معهم فاستحلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسنية على أن يرضوا بما رضي به من سمينا، فأجمع رأي الثلاثة على ألا يولوا أحداً من أولاد المتوكل لئلا يغتالهم بدم أبيه كما أنهم يريدون إخراجها عن أولاد المعتصم مولاهم فاقترح عليهم تولية أحمد بن المعتصم فقال لهم محمد بن موسى بن شاكر المنجم أتولون رجلاً عنده أنه أحق الناس بالخلافة قبل المتوكل وأنكم دفعتموها عنه وأنه أحق بالأمر من المتوكل والمنتصر فبأي عين يراكم وأي قدر يكون لكم عنده؟ ولكن أطيعوا إنساناً يعرف لكم ذلك. فكانت هذه الكلمات مما وافق هواهم جميعاً إلا بغا الكبير فإنه قال لهم نجيء بمن نهابه ونفرقه فنبقى معه وإن جئنا بمن يخافنا حسد بعضنا بعضاً فقتلنا أنفسنا، ثم ذكروا أبا العباس أحمد بن محمد بن المعتصم وقالوا هذا من ولد مولانا المعتصم ولم نخرجها عنهم ونصطنعه فيعرف ذلك لنا ولم يزالوا ببغا الكبير حتى وافقهم عليه فبايعوه جميعاً، وهو أول خليفة من بني العباس لم يكن أبوه

خليفة بعد مؤسسي الدولة السفاح والمنصور وأول خليفة تولى بعد ابن عمه.

وفي عهده توفي من الأغالبة بإفريقية أحمد بن محمد بن الأغلب (سنة ٢٤٩) وخلفه أخوه زيادة اللّه بن محمد (سنة ٢٥٠) وخلفه ابن أخيه محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب إلى (سنة ٢٦١).

وفي عهده توفي من آل طاهر بخراسان طاهر بن عبد اللّه بن طاهر بن الحسين فولي مكانه محمد بن طاهر إلى (سنة ٢٥٩).

الوزارة في عهد المستعين:

لم يكن للخليفة شيء من النفوذ فإن الموالي هم الذين حولوا الخلافة عن المعتز بخلعهم إياه من ولاية العهد وهم الذين ساقوها إلى المستعين بلا عهد ولا سابقة فكان من المعقول أن يكون بين أيديهم يفعلون به ما شاؤوا حتى مثله بعض الشعراء بقوله:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

فالوزير من قبلهم يولى فإن وافق هواهم رضوا عنه وإن خالفهم في شيء أزالوه عن رتبته وأقاموا غيره.

تركوا الوزارة في يد أحمد بن الخصيب الذي كان وزيراً للمعتصم ثم لم يلبثوا أن غضبوا عليه في جمادى الأولى من (سنة ٢٤٨) فاستصفوا ماله ومال ولده ونفوه إلى جزيرة أقريطش.

واختير لوزارة المستعين أتامش أحد قواد الأتراك وكان الذي يقوم بأمر الكتابة كاتبه شجاع فكان أتامش بذلك صاحب السلطان التام فأطلقت يده في الأموال ومعه شاهك الخادم الذي جعله المستعين على داره وكراعه وخزائنه وخاص أموره وضم إليهما في النفوذ والتصرف أم المستعين فإنه لم يمنعها من شيء تريده وكان كاتبها سعيد بن سلمة النصراني فكانت الأموال التي ترد على السلطان من الآفاق يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة فعمد أتامش إلى ما في بيوت الأموال من الأموال فاكتسحه وكان المستعين قد جعل ابنه العباس في حجر أتامش فكان ما فضل من الأموال عن هؤلاء الثلاثة يؤخذ للعباس فيصرف في نفقاته وأسبابه وصاحب ديوان ضياعه يومئذ كاتب اسمه دليل بن يعقوب النصراني فاقتطع من ذلك أموالاً جليلة لنفسه. نظرت الموالي هذه الحال: الأموال تستهلك وهم في ضيقة وأتامش هو صاحب المستعين وصاحب أمره والمستولي عليه ينفذ أمور الخلافة ووصيف وبغا من ذلك كله بمعزل فأغربا الموالي به ولم يزالا يدبران الأمر عليه حتى أحكما التدبير فتذمرت الأتراك والفراغنة على أتامش وخرج إليه منهم يوم الخميس (١٢ ربيع

الآخر سنة ٢٤٩) أهل الدور والكرخ فعسكروا وزحفوا إليه وهو في الجوسق مع المستعين وبلغه الخبر فأراد الهرب فلم يمكنه واستجار بالمستعين فلم يجره وفي يوم السبت دخلوا الجوسق فاستخرجوا أتامش من موضعه الذي توارى فيه فقتل وقتل كاتبه شجاع وانتهبت دار أتامش فأخذوا منها أموالاً جليلة ومتاعاً وفرشاً وآلة.

استوزر المستعين بعده أبا صالح عبد اللّه بن محمد بن يزيد وأبوه كان قبل ذلك وزيراً للمأمون فمكث في الوزارة نحو ثلاثة أشهر لم يرض فيها أحزاب الموالي لأنه أراد أن يضبط حساب المملكة فلم يعجب ذلك بغاً الصغير وحزبه فأظهروا له الغضب فهرب منهم إلى بغداد في شعبان (سنة ٢٤٩).

استكتب المستعين بعده محمد بن الفضل الجرجرائي وهو الذي كان وزيراً للمتوكل قبل ذلك ولم يسمه باسم وزير.

العلويون في عهد المستعين:

كان الذي في عهد المستعين من أئمة الإمامية الاثنا عشرية علي الهادي وهو العاشر من أئمتهم وكان مقيماً بسامرا.

أما الزيدية فقد خرج منهم:

أولاً: يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن علي بن الحسين خرج بالكوفة وكان قبل خروجه يتردد بين بغداد وسامرا يطالب كبار الدولة بما يصلح من شأنه فكان يرجع دائماً بالفشل فاستثار جمعاً كثيراً من الأعراب وانضم إليهم جمع من الكوفة فعسكر بهم بضواحي الكوفة ولما علم بخبره محمد بن عبد اللّه بن طاهر وجه الجنود إليه فبادر يحيى إلى الكوفة فاستولى عليها وعلى بيت مالها ثم خرج منها وصار يتردد في السواد ثم عاد إلى الكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد وكشف أمره وتولاه العامة من أهل بغداد ولا يعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره أقام بالكوفة يعد العدد ويطبع السيوف ويعرض الرجال ويجمع السلاح. كان الذي توجه لحربه فرع من فروع الأسرة المصعبية وهو الحسين بن إبراهيم بن مصعب فلما وصل بجناه إلى ظاهر الكوفة أشار على يحيى جماعة من الزيدية لا علم لهم بالحرب بمعاجلة الحسين وألح عليه عوام أصحابه بمثل ذلك فخرج من وراء الخندق ليلة الاثنين (١٣ رجب سنة ٢٥٠) في جمع ليسوا بذي علم ولا تدبير ولا شجاعة فأسروا ليلتهم حتى صبحوا الحسين وهو وأصحابه مستريحون مستعدون فلم يكن بأسرع أن انهزم جند يحيى ووضع فيهم السيف وكان أكثر رجالة الكوفة عزلاً فداستهم الخيل ولما انكشف العسكر عن يحيى تقطر به برذونه فقتل وأخذت رأسه إلى محمد بن عبد اللّه بن طاهر

فحمله إلى المستعين بسامرا فنصب الرأس بباب العامة بسامرا واجتمع الناس لذلك وكثروا وتذمروا فرد إلى بغداد لينصب بها فلم يمكن لما أبداه العامة من كراهة ذلك. وقال أبو هاشم داوود الهيثم الجعفري في ذلك:

يا بني طاهر كلوه وبيا إن لحم النبي غير مري
إن وتراً يكون طالبه اللّه لوتر نجاحه بالحري

ومع هذا الميل من الناس إلى العلويين لم يمكنهم الاستفادة من ذلك الميل لأنهم لم يكن لهم تدبير منتظم ولا استعانة بذوي التدبير والحيل من رجال الحرب.

ثانياً: خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي. خرج بنواحي طبرستان وسبب خروجه أن المستعين أقطع محمد بن طاهر قطائع من صوافي السلطان بطبرستان وذلك بعد أن انتصر على يحيى بن عمر وكان من جملة تلك القطائع قطيعة قرب ثغري طبرستان من نواحي الديلم وهما كلار وسالوس وبحذاء تلك القطيعة أرض لأهل تلك الناحية فيها مرافق منها محتطبهم ومراعي مواشيهم ومسرح سارحتهم وليس لأحد عليها ملك. وجه محمد بن طاهر جابر بن هارون أخا كاتبه النصراني لجيازة ما أقطع من تلك الأراضي وكان عامل طبرستان إذ ذاك سليمان بن عبد اللّه بن طاهر وقد غلب على أمره محمد بن أوس البلخي ومن ولده كان العمال على مدن طبرستان وهم أحداث سفهاء فاستأذى بهم وبسفههم من تحت أيديهم والرعية واستكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبد اللّه سفههم وسيرهم فيهم، وزاد على ذلك أن محمد بن أوس وتر الديلم بدخوله إلى بلادهم من حدود طبرستان على غرة وهم أهل سلم وموادعة لأهل طبرستان فسبى منهم ورجع.

لما جاء رسول محمد بن طاهر وأراد استلام القطيعة أحب أن يحوز معها تلك الأرض التي تتصل بها من الموات الذي يرتفق به أهل تلك الناحية.

كان هناك رجلان معروفان بالبأس والشجاعة وكانا معروفين قديماً بضبط تلك الناحية ممن رامها من الديلم وهما محمد وجعفر ابنا رستم فأنكرا ما فعله جابر ومنعاه وكانا مطاعين فانتهضا من أطاعهما فنهضوا معهما وهرب جابر خوفاً على نفسه ولحق بسليمان بن عبد اللّه فأيقن الرجلان حينئذ بالشر وراسلا جيرانهم من الديلم يطلبون منهم المساعدة والمظاهرة على سليمان بن عبد اللّه فأجابهم الديلم إلى ذلك وتعاقدوا هم وأهل كلار وسالوس أن يعين بعضهم بعضاً على حرب سليمان بن عبد اللّه ومحمد بن أوس وغيرهما ممن قصدهم بحرب ثم أرادوا أن يكون على رأسهم رجل يبايعونه فاتفقوا على الحسن بن زيد وكان مقيماً بالري فوجه إليه القوم من دعاه إلى أمرهم فأجاب وتوجه إليهم فبايعوه وبايعه رؤساء الديلم ثم ناهضوا من في تلك النواحي

من عمال ابن أوس فطردوهم عنها فلحقوا بمدينة سارية.

ثم زحف الحسن ومن معه على مدينة آمل وهي حاضرة طبرستان وجاء محمد بن أوس يريد دفعه عنها فلم يقدر وفر هارباً ودخل الحسن مدينة آمل فكثف جيشه وغلظ أمره ومال إليه كل طالب نهب ومريد فتنة من الصعاليك والحوزية وغيرهم ثم سار من آمل إلى سارية وبها العامل سليمان بن عبد الله فغلبه عليها ولم يكن له هو ومحمد بن أوس إلا النجاء منها بأنفسهما فهربا إلى جرجان وبذلك تم للحسن بن زيد الاستيلاء على بلاد طبرستان كلها فوجه خيلاً إلى الري فاستولت عليها وطردت عنها عمال ابن طاهر.

ورد الخبر بذلك إلى المستعين ومدبر أمره وصيف التركي فوجه إلى همذان قائداً في جمع من الجنود ليقيم بها ويمنع خيل الحسن أن تتجاوزها لأن ما وراء همذان كان لمحمد بن طاهر وبه عماله وعليه صلاحه.

هكذا نجح الحسن بن زيد في تكوين هذه الدولة التي تعرف بالدولة الزيدية بطبرستان واقتطع من ملك بني العباس وآل طاهر طرفاً عظيماً تحميه جبال طبرستان والديلم واستمرت هذه الدولة نحو قرن كامل (٢٥٠ ـ ٣٥٥) تولى فيها:

١ ـ الحسن بن زيد الداعي	٢٥٠ ـ ٢٧٠
٢ ـ محمد بن زيد القائم بالحق	٢٧٠ ـ ٢٧٩
الدولة السامية	٢٧٩ ـ ٣٠١
٣ ـ الحسن الأطروش بن علي بن عمر بن زين العابدين	٣٠١ ـ ٣٠٤
٤ ـ الحسن بن القاسم بن علي بن عبد الرحمٰن ومعه أولاد الأطروش	٣٠٤ ـ ٣٥٥

ولم تكن هذه الدولة ذات نظام ملكي ولا مرتاحة من الأعداء فإن بني سامان الآتي ذكرهم قتلوا محمد بن زيد واستولوا على طبرستان إلى (سنة ٣٠١) ثم ظهر الحسن الأطروش فاسترد طبرستان من آل سامان ولكنه قتل في بعض حروبه مع السامانية فقام بعده الحسن بن القاسم ونازعه أولاد الأطروش ولم يزل النزاع والخلاف قائماً بينهم حتى انتهى أمرهم (سنة ٣٥٥) وانقضى الملك الزيدي من تلك الجبال.

الجيش:

كان ما ظنه بغا الكبير في محله فإنه قال للقوم (نجيء بمن نهابه ونفرقه فنبقى معه وإن جئنا بمن يخافنا حسد بعضنا بعضنا فقتلنا أنفسنا) وجد التحاسد بين هؤلاء القوم وليس للخليفة سلطان

يقمع به من بغى منهم فكانت أولى جناياتهم قتل أتامش لما رأوه قد استبد بأموال الدولة وبمصالحها. ثم اتفق وصيف وبغا على قتل باغر التركي الذي تولى قتل المتوكل لأنهما خافاه على أنفسهما وكان باغر قد جمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل فجدد عليهم البيعة التي كان أخذها عليهم وقال لهم الزموا الدار حتى نقتل المستعين وبغا ووصيفاً (وكانا يسميان بالأميرين) ونجيء بعلي بن المعتصم أو بابن الواثق فنقعده خليفة حتى يكون الأمر لنا كما هو لهذين اللذين قد استوليا على أمر الدنيا وبقينا نحن على غير شيء فأجابوه إلى ذلك وانتهى الأمر إلى المستعين فبعث إلى وصيف وبغا فقال لهما ما طلبت إليكما أن تجعلاني خليفة وإنما جعلتماني وأصحابكما ثم تريدان أن تقتلاني فحلفا له أنهما ما علما بذلك فأعلمهما الخبر فاتفق الرأي على التدبير على باغر ففعلا وقتلاه فهاج أصحابه هيجاناً شديداً ولم يكن من الأميرين إلا حمل المستعين معهما والانحدار به إلى بغداد يوم الأربعاء (٤ محرم سنة ٢٥٢) ونزل المستعين بدار محمد بن عبد الله بن طاهر ولحقهم جماعة من قواد الأتراك فدخلوا إلى المستعين فرموا بأنفسهم بين يديه وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذللاً وخضوعاً وسألوه الصفح عنهم فقال لهم أنتم أهل بغي وفساد واستقلال للنعم ألم ترفعوا إلي في أولادكم فألحقتهم بكم وهم نحو من ألفي غلام وفي بناتكم فأمرت بتصييرهن في عداد المتزوجات وهن نحو من أربعة آلاف امرأة وفي المدركين والمولودين؟ وكل هذا قد أجبتكم إليه وأدررت لكم الأرزاق حتى سكبت لكم آنية الذهب والفضة وحرمت نفسي لذتها وشهوتها كل ذلك إرادة لصلاحكم ورضاكم وأنتم تزدادون بغياً وفساداً وتهدداً وإبعاداً. فتضرعوا إليه حتى قال قد رضيت عنكم فقال له أحدهم بايكباك: إن كنت رضيت عنا وصفحت فقم فاركب معنا إلى سامرا فإن الأتراك ينتظرونك. فأومأ محمد بن عبد الله بن طاهر إلى محمد بن أبي عون فلكز في حلق بايكباك وقال له: هكذا يقال لأمير المؤمنين قم فاركب معنا فضحك المستعين من ذلك وقال: هؤلاء قوم عجم ليس لهم معرفة بحدود الكلام.

وقال لهم المستعين: تصيرون إلى سامرا فإن أرزاقكم دارة عليكم وأنظر أنا في أمري ههنا ومقامي. فانصرفوا آيسين منه غاضبين مما حصل لهم فأجمعوا أمرهم على إخراج المعتز والبيعة له وكان المعتز والمؤيد في حبس الجوسق في حجرة صغيرة مع كل واحد منهما غلام يخدمه فأخرجوا المعتز وبايعوه بالخلافة ولأخيه المؤيد ولاية العهد.

وبذلك صارت بغداد في جانب المستعين والقائم بأمره محمد بن عبد الله بن طاهر ومن لف لفه وسامرا في جانب المعتز. كان من أول ما فعله ابن طاهر أن منع الميرة عن سامرا وقام بتحصين بغداد فأدير عليها السور وحفرت حولها الخنادق ورتبت الرجال على أبوابها وأسوارها

وكتب المستعين إلى عمال الخراج بكل بلدة وموضع أن يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى بغداد ولا يحملون إلى سامرا شيئاً.

دارت المكاتبات فكتب المستعين إلى أتراك سامرا يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء ببيعتهم إياه ويذكرهم أياديه عندهم وينهاهم عن معصيته ونكث بيعته وكان كتابه بذلك إلى سيما الشرابي. وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه من بايعه بالخلافة وخلع المستعين ويذكره ما كان أبوه المتوكل أخذ له عليه بعد أخيه المنتصر من العهد وعقد الخلافة. فلم تفد هذه المكاتبات شيئاً وهيأ المعتز جيشاً لحرب المستعين جعل قيادته لأخيه أبي أحمد بن المتوكل وتدبيره إلى كلباتكين التركي. خرج هذا الجيش من سامرا فوافى عكبرا في غاية لمحرم من (سنة ٢٥١) ووصل باب الشماشية ببغداد لسبع خلون من صفر. وقد حصل بين الفريقين مواقع هائلة حول أسوار بغداد وبعيداً عنها وانقطعت بذلك السابلة وخربت الضياع وذهبت الأزراق وكانت الحرب بين الفريقين في البر وفي النهر. وقد ظلت بغداد مرسحاً للفتن والحروب (سنة ٢٥١) كلها وفي آخرها كاتب ابن طاهر المعتز في الصلح وأشيع بين عامة بغداد أن ابن طاهر مال إلى خلع المستعين وأنه وجه قواده فبايعوا المعتز فلما سمعوا ذلك هاجوا وأظهروا الوقيعة في ابن طاهر وشتموه أقبح الشتم وتجمعوا حول داره يريدون الإيقاع به فكلم ابن طاهر المستعين وسأله أن يطلع إليهم ويسكنهم ويعلمهم ما عليه ابن طاهر فأشرف عليهم من أعلى الدار وعليه البردة والطويلة وابن طاهر بجانبه فحلف لهم بالله ما اتهمه وإنه لفي عافية ما عنيه من ابن طاهر بأس ووعدهم أن يخرج في غد يوم الجمعة ويصلي بهم فانصرفوا وجاؤوا في الغد يطلبون خروج المستعين إليهم فلم يخرج فازداد هياجهم وطلبوا خروج الخليفة من دار ابن طاهر فلم يجد من ذلك بداً وانتقل في أوائل ذي الحجة إلى دار رزق الخادم وكان معه حين انتقاله ابن طاهر وبيده الحربة يسير بها والقواد خلفه وكان هذا الانتقال على غير إرادة المستعين ويقال إن السبب في عدول ابن طاهر عن الإخلاص للمستعين أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الذي كان وزيراً للمتوكل قال له أطال الله بقاءك إن هذا الذي تنصره وتجد في أمره من أشد الناس نفاقاً وأخبثهم ديناً والله لقد أمر وصيفاً وبغا بقتلك فاستعظما ذلك ولم يفعلاه وإن كنت شاكاً فيما وصفت من أمره فسل تخبر. وإن من ظاهر نفاقه أنه كان وهو بسامرا لا يجهر في صلاته ببسم الله الرحمٰن الرحيم فلما صار إلى ما قبلك جهر بها مراءاة لك وتترك نصرة وليك وصهرك وتربيتك ونحو ذلك من كلام كلمه به فقال محمد بن عبد الله: أخزى الله هذا لا يصلح لدين ولا لدنيا. كان وراء ذلك أن تخلى محمد عن نصرة المستعين وكانت نتيجة هذا التخلي أن تضعضع أمره

وانحياز العامة له لم يفده فرأى من مصلحته أن يقبل خلع نفسه واشترط شروطاً تضمن حياته وراحته.

وفي يوم السبت (١٠ ذي الحجة سنة ٢٥١) ركب محمد بن عبد اللّه إلى الرصافة وجمع القضاة والفقهاء وأدخلهم على المستعين فوجاً فوجاً وأشهدهم عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد اللّه فأرسل حينئذ محمد إلى المعتز من جاء يحطه بقبول الشروط التي طلبها المستعين وعادت الرسل في ثالث المحرم (سنة ٢٥٢) وفي رابعه دخل ابن طاهر على المستعين ومعه كتاب الشروط كتبه سعيد بن حميد فقال ابن طاهر: يا أمير المؤمنين قد كتب سعيد الشروط وأكد غاية التأكيد فنقرأ الكتاب عليك فقال المستعين لا عليك لا عليك فما القوم بأعلم باللّه منك وقد أكدت على نفسك قبلهم فكان ما قد علمت ـ فما رد عليه محمد شيئاً.

ولما بايع المستعين للمعتز ببغداد أخذ منه البردة والقضيب والخاتم ووجه ذلك إلى المعتز وأشخص المستعين إلى واسط. ويعجبني هنا ما قاله أحد شعراء العصر:

خلع الخليفة أحمد بن محمد ... وسيقتل التالي له أو يخلع
ويزول ملك بني أبيه فلا يرى ... أحد بملك منهم يستمتع
إيها بني العباس إن سبيلكم ... في قتل أعبدكم طريق مهيع
رقعتم دنياكم فتمزقت ... بكم الحياة تمزقاً لا يرقع

الأحوال الخارجية:

كان الحال في الخارج أشد من ذلك وأنكى فإن الاضطراب الحادث في داخلية الدولة كان سبباً في تقاعد أولي الأمر عن حماية الثغور والوقوف في وجه الروم الذين كانوا ينتظرون مثل هذه الفرصة وقد صادف أن قائدين عظيمين من قواد الثغور قتلا في حرب مع الروم أول عهد المستعين وهما عمر بن عبد اللّه الأقطع وعلي بن يحيى الأرمني وكانا نابين من أنياب المسلمين شديداً بأسهما عظيماً غناؤهما في الروم فأما أولهما فقد غزا ملطية فقابله ملك الروم في جمع عظيم فأحاطوا به فقتل وقتل معه ألفا رجل وجرأهم قتله على قصد الثغور الجزرية فقصدوها وكلبوا عليها وعلى حرب المسلمين فبلغ ذلك علي بن يحيى وهو قافل من أرمينية إلى ميافارقين فنفر إليهم في جماعة قليل فقتل نحو (٤٠٠ رجل).

لما بلغ ذلك أهل بغداد شق على عامتهم وعظم مقتل الرجلين في صدورهم مع ما لحقهم من استفظاعهم من الأتراك قتل المتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين وقتلهم من أرادوا من الخلفاء واستخلاصهم من أحبوا استخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة ولا نظر لأمور المسلمين

فثاروا وربما كانوا ينجحون فيما إليه قصدوامن ثورتهم هذه لو وجدوا قائداً يدبر أمرهم ويبعدهم عن الفوضى ولكنهم لم يظفروا به.

اجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنفير وانضمت إليهم الأبناء الشاكرية وفتحوا أبواب السجون وأخرجوا من فيها ثم أخرج أهل اليسار من أهل بغداد وسامرا أموالاً كثيرة من أموالهم فقووا من خف للنهوض إلى الثغور لحرب الروم وأقبلت إليهم العامة من نواحي الجبل وفارس وغيرهما لهذا القصد كل ذلك والخليفة لاه بما هو فيه عن ثغور المسلمين فلم يوجه لها عسكراً ولم تجد حركة العامة شيئاً.

١٣ ـ المعتز

هو أبو عبد اللّه المعتز المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد اسمها قبيحة (ولد سنة ٢٣١) وكان أبوه المتوكل جعله ولي عهده بعد المنتصر فلم تتم له الولاية لأن المنتصر أرغمه على أن يخلع نفسه ولما ولي المستعين بعد المنتصر حبسه هو وأخاه المؤيد حتى كانت الفتنة بين قواد المستعين فأخرج المعتز وبويع وتم له الأمر بعد خلع المستعين في رابع محرم (سنة ٢٥٢) (٢٥ يناير سنة ٨٦٦) ولم يزل والياً إلى أن خلع لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ (١١ يوليه سنة ٨٦٩) فكانت مدة خلافته بعد خلع المستعين ثلاث سنوات وستة أشهر و٢٣ يوماً.

وزراء المعتز:

لم يكن للوزارة في هذا العهد كبير شأن لانحطاط أمرالخلافة نفسها وقد كان الوزراء كتاب أموال فمن أمكنه أن يقوم بحاجة كبار الأتراك ومقدميهم بقي في منصبه وإلا عزل وفعلت به الأفاعيل.

أول وزراء المعتز أبو الفضل جعفر بن محمود الإسكافي. لم يكن له علم ولا أدب ولكنه كان يستميل القلوب بالمواهب والعطايا وكانت وزارته على غير رغبة المعتز لأنه كان يكرهه وكان الأتراك فيه فريقين فثارت بسبب ذلك فتنة فعزل من أجل ذلك.

وتولى الوزارة بعده عيسى بن فرخانشاه ولم يمكث إلا قليلاً حتى عزل بسبب فتنة كالأولى فولي بعده أحمد بن إسرائيل الأنباري وهو كاتب حاذق ذكي وكان المعتز يميل إليه لأنه كان يتولى له أموره قبل أن يلي الخلافة فمكث وزيراً إلى (سنة ٢٥٥) ومما يدل على قدر ما صار إليه سلطان الخليفة ومبلغ الفساد في أحوال الدولة، الكيفية التي عزل بها أحمد بن إسرائيل عن الوزارة هو والكتاب الذين معه.

دخل صالح بن وصيف مقدم الأتراك على المعتز وقال له: يا أمير المؤمنين ليس للأتراك